المثليات فى حياة الشباب

بقلم الأستاذ س . م

نحن نعيش فى أيام تاريخية . بل إن التاريخ ليهدر فوق رءوسنا كأنه الرعد. فقد انفجرت قوات التدمير فى البر والبحر والجو تحاول بالعنف والبطش أن تحوّل مصير الأمم وترفع هذه الأمة أو تحط تلك الأخرى . ولكن مع وفرة هذه القوى المادية تعتمد كل أمة على قوتها الروحية وما تستمده لتزكية قضيتها من مبادئها الأخلاقية وتقاليدها السامية وعدالة نظامها . وذلك لاعتقادها أن لا قيمة للقوى المادية فى الحرب إذا أكانت القوة الروحية قد وهنت أو انهارت .

ذلك أن الجندى الذى يقف فى الميدان يحتاج الى التعبئة الروحية بقدر بل بأكثر مما يحتاج الى التعبئة الحربية . فهو اذا لم يكن شجاعا واثقا بحقه فى القتال لم تنفعه الأسلحة التى يحمل مهما تعددت وتنوعت . وهنا يحضرنا مثال أورده الطبرى فى تاريخه حين وهنت قوى الفرس أمام العرب . فقد ذكر أن ما نعنيه الآن " بالقوة الروحية " قد تضعضع عند الفرس على الرغم من وفرة سلاحهم حتى كان العربى يأمر الفارسى بالحضور أمامه ثم يقتله . والفارسى صامت عاجز عن الدفاع أو الفرار .

والإنسان لراق روح أكثر مما هو جسم . وهو يقيس سعادته باقيسة روحية من الدين والأمل والحق والكفاءة والشرف والمكانة الاجتماعية والوطنية والاستقلال والإخاء والحرية . وكل هذه وأمثالها إنما هى أقيسة روحية لا أثر للماديات فيها . واذا اختلت هذه الأقيسة أو إذا أخذت الأقيسة المادية تطغى عليها كالترف والتكاثر بالمال واقتناء الفاخر من اللباس أو الأثاث أو العقار والانكباب على لذات الطعام وسائر الشهوات فان الانحطاط يأخذ مكان الرقى وتشرع الأمة فى تلك الانحدارات التى يحفل بها التاريخ .

وعلى ذلك نرى أن الأقيسة الروحية — سواء فى الحرب أم فى السلم — هى الدعامات التى يقوم عليها رقى الفرد وانتصاره . بل هو لن يعيش الحياة المنتجة الصالحة المصلحة، الحياة الطيبة، الا اذا كانت له أقيسة روحية يقيس بها نشاطه وعمله وأمله . ومن هنا قيمة المثليات فى حياة الشاب .

والمثليات (جمع مثلى مثل حسنى وأخرى) هى أمثل الحالات التى ينشدها الانسان فى العائلة المثلى أو الحكومة المثلى أو غير ذلك . ونحن نعبر بهذه اللفظة فى العربية عما يعبر عنه الأوربيون بلفظة Ideal .

ولم تعش أمة قط بلا مثليات حتى حين انحدرت الى أحط الدركات فى تاريخها . لان الانسان فى كل وقت يحتاج إلى أن يفهم من وجوده مغزى روحيا . وكثير من الفاظنا إنما هى رموز يراد بها هذا المغزى الروحى. فإننا نرفع الأعلام يوم الأعياد. وهى رموز حسية تدل على معنى أو مغزى وطنى. ولكن كذلك أيضا الفاظ الشرف والطهارة والاستقامة والبر والحق والعدل انما هى رموز أخرى غير حسية تدل على حالات مثلى نحب أن يحققها الفرد فى أخلاقه وسلوكه وتحققها الأمة فى تصرفها مع أبنائها . والانسان الراقى يتطلع على الدوام الى ما يعلو على مستواه المادى . وهو لا يسعد الا إذا كان يحس انه يرقى وأن نظره مسدد الى النجوم وأنه خلال السنين أو حتى القرون القادمة — فى شخص أبنائه وأحفاده — سوف يكون اسمى وأبر وأعقل مما هو فى الوقت الحاضر .

ولكن الشاب وهو يتشوق الى المثليات فى عالم قد اختلفت بل تناقضت فيه المذاهب يتشوش ذهنه وتضطرب أقيسته. وهو عندئذ عرضة لأن يقع فى أخطاء ويتجه نحو أهداف فاسدة تشقت قواه . ولذلك يحتاج الى الارشاد أى الى البوصلة الصادقة التى توجه نشاطه نحو الأهداف لانسانية السديدة التى تخدم الخير والبر والسعادة .

والمثليات كثيرة. وهى أيضا متفاوتة فى قيمتها بعضها يعم الانسانية وبعضها يخص الوطن. فنحن حين ننشد السلام "عالمى أو الإخاء البشرى أو الديمقراطية انما نتطلع الى تحقيق مثليات عالمية ، يشترك فيها المصرى مع الصينى مع الأمريكى مع التركى . ولكنا حين ننشد الرفاهية للفلاح المصرى أو ترقية السكنى فى مدننا للفقراء أو زيادة التعليم إنما نتطلع الى مثليات وطنية وليس من الضرورى أن تكون مثلياتنا من الطراز الفخم الضخم الذى يقصد منه الى إصلاح العالم كله. اذ حسبنا أن نرتفع فوق أنفسنا ونخدم شأنا انسانيا يغذو روحنا ونحس به أننا أعضاء نافعون مشتركون فى الرقى الانسانى .

ونحن حين نخدم أحد الشئون الانسانية نخدم أنفسنا كما نخدم هذا الشأن الانسانى . بل لعل الانتفاع أكبر فى جانبنا . لأن الشاب الذى يرصد بعض وقته لدراسة الأطفال اليتامى ومساعدتهم يشغل ذهنه ووقته بالخطير من الدرس الذى يكسبه معارف جديدة وشخصية قويمة . والصبى اليتيم بالطبع ينتفع من هذا المجهود . ولكن ظنى أن الشاب قد انتفع أكثر. وكذلك الحال فى ذلك الشاب الذى ينضوى الى جمعية للبر بالفقراء أو لتعليم الصبيان المحرومين أو لإنقاذ الساقطات . فإن كل هؤلاء المساكين ينتفعون بهذه المجهودات . ولكن الشبان القائمين بهذه الخدمات ينتفعون أكثر ، لأن من يمارس البر يصير رجلا بارا . ومن يدعو الى الخير ويعمل به لن يكون رجلا شريرا. ولذلك إذا كانت الدنيا أو المجتمع ينتفعان بالمثليات فإن الدعاة الى هذه المثليات ينتفعون أيضا بما يكتسبون من نشاطهم فى الدعوة اليها من أخلاق عالية وشخصيات غالية .

فنحن نخدم المثليات ونرقى بها الدنيا أو المجتمع ولكن هذه المثليات تغذو أرواحنا وترفعنا وتسمو بنا وتجعل منا رجال جد وخير وصلاح . وهذا كسب روحى عظيم .

وهنا تتضح لنا قيمة الجرائد والمجلات والمؤلفات فى بعث هذه المثليات وتجديدها . لأن الصحيفة التى تدأب فى بحث المشكلات العالمية أو الوطنية تحرك أذهان قرائها الى ضرورة الحل لهذه المشكلات . ولا بد من التشخيص قبل العلاج . فاذا لم تعرض هذه المشكلات فى شرح وايضاح وتكرير حتى يتنبه الضمير الخامد ويستيقظ الذهن النائم فإن الشاب القارئ يبقى بلا مثليات ؛ وهو عندئذ لا يجد الغذاء الروحى كما لا يجد المجتمع النشاط الذى ينتظر من افراده لإصلاح مفاسده .

وقد علمتنا الحرب القائمة أن القوة الروحية أهم وأخطر من القوات المادية . فيجب ألا ننسى أن هذه القوة الروحية لها أيضا قيمتها وخطرها أيام السلم . وأن ما يغذوها هو المثليات يؤمن بها الشاب ويسعى لتحقيقها فيخدم المجتمع ويخدم نفسه معا .

فعلى كل شاب أن يأخذ على عاتقه بعض الواجبات الاجتماعية يؤديها لكى يرقى بالمجتمع الذى يعيش فيه سواء بنشر التعليم أو انشاء المستشفيات أو ايجاد الملاجئ كما عليه أن يبحث المذاهب السياسية والاجتماعية ويدرسها لكى يستنير بها ويعتمد عليها فى خطة البر والخير التى يتخذ . فان الرجل يجب أن يكون بصيرا بموقع بره على دراية بنتائج عمله . فهذا فورد الثرى الأمريكى مثلا يرى أن البر ليس الاحسان على الأعرج والأعمى والأصم بل هو استخدام كل هؤلاء حتى يشعروا بكرامتهم . وقد يكون القرش الذى نعطيه جزافا للصبى المتكفف أسوأ الأعمال التى تؤثر أسوأ الأثر فى حياة هذا الصبى .

والبر صلة التى ترشدنا فى سلوكنا وتجعل برنا مفيدا بعيدا عن الضرر هى المثليات التى نصور بها لأنفسنا المجتمع الأمثل .